دور الشعر المعاصر فی تفسیر مجمع البیان لعلوم القرآن

تاریخ الوصول: ۱۳۹۰/۶/۲۶هـ. ش
تاریخ القبول: ۱۳۹۰/۹/۲هـ. ش

محمدرضا حاجی اسماعیلی*
مجید خزاعی**
زهرا قاسم نژاد***

الملخص

أشرنا فی هذا المقال إلی استخدام الطبرسی صاحب مجمع البیان لعلوم القرآن للشعر، والطبرسی استخدم الشعر لمعالجة الجوانب المختلفة للآیة واعتمد علی الشعر اعتمادا أساسیا لدعم آرائه وحججه. واختیار الطبرسی للشاهد الشعری، الذی سنعالجه فی هذا المقال، یجعل منه ذوّاقة فی الأدب والنقد والتفسیر، خاصة عندما تکون اختیاراته جیّدة، وربما کان فی ذلک ردّ للنظریة القائلة إنّ القرآن الکریم ضدّ الشعر أو یحرّم الشعر.

إنّ إحصاء مظاهر دور الشعر فی مجمع البیان لعلوم القرآن غیر یسیر، لکثرة الشواهد فیه وتشعّب مواضیعها ومهما حاولنا التمثیل علی هذه المظاهر نجد أنفسنا قاصرة عن إیفاء حقّها، فلکل شاهد قصة وموضوع وغرض؛ لذا سیقتصر عملنا فی هذا المقال علی تبیان أهم الجوانب الشعریة الرئیسة حرصا علی الإیجاز.

الکلمات الدلیلیة: التفسیر، الشاهد الشعری، الطبرسی، مجمع البیان لعلوم القرآن، الشعر المعاصر.

*. أستاذ مشارک بجامعة إصفهان، ایران.
**. عضو هیئة التدریس بجامعة آزاد الإسلامیة فی جیرفت، ایران.
***. طالبة فی مرحلة الدکتوراه بجامعة إصفهان، ایران.
m.hajis@yahoo.com

المقدمة

يمتاز تفسير مجمع البيان لعلوم القرآن للشيخ أبى على الفضل بن الحسن الطبرسى بجزالة لفظه، ومتانة أسلوبه، ووضوح مقصوده وجمعه بين ذكر الآراء المختلفة فى المسألة مع الاختصار. والمقصود بالاختصار هنا هو: الاختصار فى ذكر الرأى، وليس فى حجم الكتاب، والكتاب يمتاز عن سائر التفاسير بتناوله الجوانب المختلفة للآية من قراءة وحجة (توجيه) ولغة وإعراب ومعنى وسبب نزول وغيرها. وهو يمتاز بميزة أخرى جعلته شاخصا ومشهورا بين كتب التفاسير، وهذه الميزة هى: تناوله الجوانب المختلفة للآية بشكل منفصل بعضها عن البعض الآخر بصورة مطردة فهو يذكر القراءة تحت عنوان خاص، ثم يذكر تخريج القراءة وتوجيهها تحت عنوان الحجة، ثم اللغة، ثم النحو، والتفسير، تحت عنوان المعنى وسبب النزول إن كان للآية شأن فى ذلک.

والطبرسى استخدم الشعر لمعالجة الجوانب المختلفة للآية واعتمد على الشعر اعتمادا أساسيا لدعم آرائه وحججه. واختيار الطبرسى للشاهد الشعرى، الذى سنعالجه فى هذا المقال، يجعل منه ذوّاقة فى الأدب والنقد والتفسير، خاصة عندما تكون اختياراته جيدة، وربما كان فى ذلک ردّ للنظرية القائلة إنّ القرآن الكريم ضدّ الشعر أو يحرّم الشعر، ليس صحيحا أنّ الشعر حرمّه الله، بل نجد المسلمين يكرمون الشعر والشعراء، ولا أدلّ على ذلک من الرعاية النبوية التى أحاطت بموكب الشعر العربى... كان عليه السلام يعجبه الشعر، ويُمدح به، فيثيب عليه ويقول (هو ديوان العرب).

وقال شوقى ضيف: إنّ الشعر فى حياة الرسول (ص) كان يجرى على كلّ لسان، ويكفى أن نرجع إلى سيرة ابن هشام، فسترى سُيُوله تتدافع من كل جانب، وحقّاً فيها شعر موضوع كثير، ولكن حينما يُصَفّى وحين نقابل عليه ما ارتضاه ابن سلام وغيره من الرواة الموثوق بهم، نجدنا إزاء ملحمة ضخمة تعاون فى صنعها عشرات من الشعراء والشاعرات.

فنرى فى ذلک المجال أنّ القرآن لم يحرّم الشعر ولم يكن ضدّه، وأنّ الطبرسى اختار أحسن الشاهد الشعرى، بسعة اطلاعه وغزارة علمه ومعرفته بكلام العرب.

إنّ احصاء مظاهر دور الشعر فى مجمع البيان لعلوم القرآن غير يسير، لكثرة الشواهد

فیه ومهما حاولنا التمثیل علی هذه المظاهر نجد أنفسنا قاصرة عن إیفاء حقها فلکلّ شاهد قصة وموضوع وغرض لذا یستقصر عملنا فی هذه الدراسة علی تبیان أهمّ الجوانب الشعریة الرئیسیة وهی الجانب اللغوی والجانب التاریخیّ حرصاً علی الإیجاز.

الف. فی الجانب اللغویّ:

یطیب للطبرسی الغوص فی العلوم اللغویّة، التی کان الهدف الأساس من وضعها، خدمة الألفاظ والتراکیب القرآنیة.

والقوانین اللغویّة، تخضع بالضرورة للتراکیب القرآنیة، ولا تخضع هذه التراکیب إلی تلک القوانین، ویعتبر القرآن الکریم الأصل فی جمیع العلوم الدینیّة واللغویّة.

اعتنی الطبرسی بالعلوم اللغویة وجعلها محور تفسیره، وساعد الشاهد الشعری علی توضیحه، وقبل بسط نماذج مقتطفات من مجمع البیان علی العلوم اللغویّة، لابدّ من عرض موجز یُبیّن کیفیة ظهور هذه العلوم وأنواعها وأهدافها.

إنّ الجزیرة العربیة وما حولها هی المهد الأوّل للعرب، عاشت فی ربوعها قبائل متباینة تختلف فی لهجاتها ولغاتها، واللغة العربیة التی نتداولها الیوم، هی لغة الحجاز التی کانت قبل الإسلام لغات عدیدة تعرف بلغات القبائل، وکانت مختلفة، قد یکون محور الخلاف فیها کلمات تستعمل للدلالة علی معنی واحد؛ وقد تدلّ الکلمة الواحدة علی معانٍ مختلفة، وقد یکون الخلاف فی الحرکات وهذا هو مجمل الخلاف فی لغات العرب.

کانت قریش أجود العرب انتقادا للأفصح من اللغات، فصهرت جمیع هذه اللغات فی لغتها لهذا نزل بها القرآن الکریم.

وعندما کثرت الفتوحات واختلط العرب بالأمصار تفشّی اللحن، فأشفق العلماء علی سلامة اللغة ونهضوا لوضع قواعد لها، فاستقوا جمیع مفردات اللغة وتحدیداتها من القرآن والحدیث والشعر، ومن سماع عرب البادیة ومن نقل الرواة عن أسلافهم من مفردات واستعملات، فمن جمع اللغة مما نطقت به العرب ولم یتعداه، سمّی لغویاً ومن عالج هذا الجمع وتصرف به وقاس علیه، سمّی نحویاً ثم تفرعت العلوم اللغویة إلی اثنی عشر علما

هی: اللغة والصرف، والاشتقاق، والنحو، والمعانی، والبیان، والخط، والعروض والقافیة وقرض الشعر، وإنشاء الخطب والرسائل والتاریخ.

وسأمثل من مجمع البیان لعلوم القرآن بنماذج فی استخدام الطبرسی لبعض هذه العلوم فی تفسیره. وقد لعب الشعر دوراً کبیراً فی توضیحها.

فی تفسیر قوله تعالی: ﴿وَلَوْنَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ (الزحرف: ۶۰) یتحدث الطبرسی عن معنی حرف جر «من» ویحتجّ بالشعر یقول: «من» قدتاتی للبدل أی جعلنا ملائکة بدلکم سکّان الأرض یعمرونها ویعبدون الله. (الطبرسی، ۱۴۱۵ق، ج۹: ۹۰)

وقال الشاعر:

فلیت لنا من ماءِ زمزم شربة　　مبردة باتت علی الطهیان[۱]

من ماءِ زمزم أی بدل ماء زمزم.

وتفسیر قوله تعالی: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (الزمر: ۶۴) یقول: تأمرنی القیاس فیه تأمروننی ویدغم فیصیر تأمرونی وجاز الإدغام إسکان النون المدغمة لأنّ قبلها حرف لین وهو الواو فی تأمرونی ومن خفف فقال تأمرونی ینبغی أن یکون حذف النون الثانیة المصاحبة لعلامة المنصوب المتکلم. (الطبرسی، ۱۴۱۵ق، ۸: ۴۱۳)

والمؤلف لحذف إحدی النونین من تأمرونی استشهد بقول الشاعر:

أبا الموت الذی لابدّ أنّی　　مُلاقٍ لا أباک تُخَوفینی[۲]

استشهد المؤلف بهذا البیت لحذف إحدی النونین من «تأمرونی» فی قوله تعالی: ﴿قل أفغیر الله﴾ (الزمر: ۶۴)

۱. البیت من الطویل لیعلی الأحول الأزدی (؟-۹۰ه) یعلی بن مسلم بن ابی قیس الیشکری الأزدی، الأحول، شاعر أموی، والشاهد فی البیت قوله «من» قد تاتی للبدل. الشاعر فی هذا البیت یتمنی أن یکون لهم شربة ماء وضعت علی قلة الجبل فصارت باردة شدیدة بدلا من ماء زمزم. (یعقوب، ۱۴۱۳ق، ج۲۲: ۱۰۲۹؛ وابن عمر بغدادی، لاتا، ج۴: ۱۳۲؛ والمرزوقی، ۱۴۱۱ق، ج۱: ۳۰۰)

۲. البیت من الوافر لأبی حیه النمیری (؟-۱۸۳ق) الهیثم بن الربیع بن زرارة من بنی نمیر بن عامر، شاعر مجید فصیح، راجز، من أهل البصرة، من مخفرمی الدولتین الأمویة والعباسیة، مدح خلفاء عصره فیهما. (ابن شاکر الکتبی، لاتا، ج۴: ۲۴۲)

یقول: لا أبا لک هل توعدینی وتخوفینی بالموت الذی لا مفرّ لی منه. (ابن عمر البغدادی، لاتا، ج۲: ۱۱۶؛ والسیوطی، ۱۴۰۶ق، ج۳: ۱۳۲)

وفی تفسیر قوله تعالی: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص: ۳) یقول: المناص بمعنی التأخر والفرار والخلاص، و«لات حین مناص» أی نادوا لطلب الخلاص فی وقت لایکون لهم فیه خلاص. قال امرؤالقیس:

أمن ذکر لیلی إن نأتک تَنوصُ فتقصرُ عنها خَطوةً وتَبوصُ[۱]

استشهد الؤلف بهذا البیت لمعنی «مناص» فی قوله تعالی والشاهد فی البیت قوله «تنوص» بمعنی«تتأخّر» وفی أصل کلمة «لات» یقول: فأصلها «لا» النافیة ثم زیدت علیها التاء لتأنیت اللفظ. (الطبرسی، ۱۴۱۵ق، ۸: ۳۴۲) واحتج بقول الشاعر:

تَذکّر حبّ لیلی لات حینا وأضحی الشیبُ قد قطع القرینا[۲]

استشهد بالبیت لدخول تاء التأنیث علی «لا» فی کلمة «لات» فی قوله تعالی: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (ص: ۳) وقیل: إنّ التاء فی «لات» متصلة بحین کما قال الشاعر:

العاطفین تحین ما من عاطفٍ المطعمین زمان ما من مُطعمٍ[۳]

وفی جواز الجر بلات احتجّ بقول الشاعر:

طلبوا صلحنا ولات أوانٍ فأجبنا أن لیس حینُ بقاءٍ[۴]

۱. البیت من الطویل لامرئ القیس بن حجر الحارث الکندی (۱۳۰ –۸۰ق) من بنی آکل المرار، شاعر جاهلی، من أشهر شعراء العرب علی الإطلاق. (الزرکلی، ۱۹۶۹م، ج۱: ۳۵۱؛ وابن حجر، ۱۴۰۹ق: ۷۰۰) یقول: أمن ذکر لیلی واشتیاقک إلیها بعد أن هجرتک تتأخر عنها أم تجد فی أثرها وتتقدم راجیا لقاءها.

۲. البیت من الوافر مطلع القصیده لعمرو بن شاس بن عبید بن ثعلبة الأسدی، أبوعرار (؟–۲۰ق)، شاعر جاهلی، مخضرم، أدرک الإسلام وأسلم، عده الجمحی فی الطبقة العاشر من فحول الجاهلیة. (الجمحی، لاتا: ۴۴؛ وابن خلکان، ۱۳۹۷ق: ۴۱۸)
یقول: تتذکر حبّ عشیقتک لیلی ولیس الحین حین الحب والعشق لأن شیبک وبیاض شعرک قد قطع علاقة کل قرین ومصاحب.

۳. البیت من الکامل لأبی وجرة السعدی، هو یزید بن عبید (؟ – ۱۳۰ه) من بنی سعد بن بکر بن هوازن، أظآر رسول الله (ص) وکان شاعراً مجیداً ومشهوراً من التابیعین. (ابن قتیبة الدینوری، لاتا، ج۲: ۵۹۱)
یقول: هم یعطفون ویطعمون علی من سألهم إذا اشتدّت الأحوال ولم یجد المسترفد رافداً.

۴. البیت من الخفیف لأبی زبید الطائی (؟ –۴۱ هـ)، واسمه حرملة بن المندز وکان جاهلیاً قدیماً وأدرک الإسلام ولم یسلم ومات نصرانیاً. (الزرکلی، ۱۹۶۹م، ج۲: ۱۸۵)
یقول: لما ذاق بأسنا هؤلاء القوم طلبوا صلحنا، فقلنا لهم لیس الحین حین الصلح وهذا البیت مثل لمن طلب شیئاً وقد فاته وذهب وقته. (المیدانی، ۱۴۰۷ق، ج۱: ۴۸۶)

استشهد بهذا البيت لجواز الجر بكلمة «لات» وأنّ «لات» تجر الأحيان كما أنّ «لولا» تجر الضمائر نحو لولاک، ولولاه عند سيبويه وهذا مذهب الفراء. (الفراء، ۱۴۰۳ق، ج۲: ۳۹۸)

وعرّف صاحب مجمع البيان لعلوم القرآن المنادى المرخّم واستشهد عليها، مما جاء على لسان العرب فی تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ (الزحرف: ۷۷)

يقول: فی شواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والأعمشی «يا مالِ» وقول «يا مالِ» على المذهب المألوف فی الترخيم يعنی رخّم الاسم وحذف الكاف، قال الشاعر:

فأبلغ مالكاً عنی رسولاً وما يُغنی الرسول لديک مالِ[1]

(الطبرسی، ۱۴۱۵ق، ج۹: ۹۵)

استشهد بالبيت لقراءة من قرأ «يا مالِ» على الترخيم فی قوله تعالى: «**ونادَوا يا مالکُ**» والشاهد فی البيت قوله«مالِ» وقيل حسن الترخيم أنّهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه. (الزمخشری، لاتا، ج۴: ۲۶۴)

كما نقول فی بداية البحث تفرعت العلوم اللغوية إلى اثنی عشر علماً، واحد هذه العلوم، علم البلاغة، فالبلاغة ملكة فی الأساليب فی الجانب اللغوی. وأنزل الله تعالى القرآن بلسان العرب فی أحسن أساليبهم ومنتهى بلاغتهم وعلى قدر طاقاتهم فی الفهم، فعجزوا أمام بلاغته.

والبلاغة فی حقيقتها ليست إلّا ملكة البيان وقدرة النفس على حسن التعبير لتبليغ المخاطب بخواطر ما فی وجدان المتكلم. ووضعوا علوما لها ليصل محصِّلها إلى امتلاک فن القول بالإسلوب المتين الذی يصيب المَحَزّ.

وهنا نحن لسنا فی معرض التحدث عن البلاغة عامة فی القرآن الكريم، لأنّه منبع كلّ

۱. البيت من الوافر مطلع قصيدة قصيرة للأقرع بن معاذ القشيری، الأشجع بن معَاذ بن سنان بن حزن، أخوبنی قشير وقيل: اسمه الأشيم بن معاذ بن سنان بن حزن. ونُسِبَ البيت إلى شعبة بن قمير المازنی. (أبوالفرج الأصفهانی، ۱۴۰۷ق، ج۲۰: ۲۰۲) يقول: أبلغ مالكاً عنی وكن رسولی إلى مالک، وأنا أعلم أن الرسول لا يغنی عند مالک ولا يجدی شيئاً. (لأنّه يخادعنی كما يخادع الذئبُ الغَزالَ).

بلاغة وفصاحة، إنّما یعنینا الشاهد الشعری الذی احتجّ به الطبرسی علی بعض علومها وسنکتفی بنماذج قلیلة منها:

فی قوله تعالی: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِی لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِیَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِیهَا وَعَزَّنِی فِی الْخِطَابِ﴾ (ص: ۲۳) نجد أنّ النعجة تُعدّ فی علم البیان کنایة. لأنّها لاتُعنی النعجة الحیوان بحدّ ذاتها وإنّما تعنی المرأة والنساء والوصف الجامع بینهما هو التأنیث، وقال الشاعر:

یا شاةُ ما قنصٍ لمن حلَّت له حَرُمت علیّ ولیتها لم تَحرُم[1]

والشاهد هنا قوله «شاة» والعرب تکنی عن النساء بالظباء والشیاة وهذا أحسن التعریض. (الثعالبی، لاتا، ج۲: ۴۲۵)

مجاز المرسل أحد فروع علم البیان وقال صاحب مختصر المعانی فی تعریفه: «والمرسل وهو ما کانت العلاقة غیر المشابهة کالید الموضوعة للجارحة المخصوصة إذا استعملت للنعمة والقدرة.» (التفتازانی، ۱۴۲۵ق: ۳۳۸)

واستفاد صاحب مجمع البیان لعلوم القرآن من هذا العلم فی تفسیر قوله تعالی: ﴿قَالَ یَا إِبْلِیسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیَدَیَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِینَ﴾ (ص: ۷۵) ویقول: «لما خلقت بیدی» تولیت خلقه بنفسی من غیر واسطة عن الجبائی ومثله مما عملت أیدینا وذکر الیدین لتحقیق الإضافة لخلقه إلی نفسه وهو قول مجاهد وقیل معناه خلقته بقدرتی عن أبی مسلم وغیره والعرب کما تطلق لفظ الید للقدرة والقوة فقد تطلق لفظة الیدین قال:

تَحَمَّلتُ من ذَلفاء ما لیس لی بهِ ولا للجبال الرّاسیاتِ یدانِ[2]

---

۱. البیت من الکامل لعنترة بن شدّاد العبسی (؟ – ۲۲ق)، أشهر فرسان العرب فی الجاهلیة ومن شعراء الطبقة الأولی. (الزرکلی،۱۹۶۹م، ج۵: ۲۶۹)

یقول: یا هؤلاء اشهدوا شاة قنص لمن حلّت له فتعجبوا من حسنها وجمالها لکنها حرمت علیّ. (ابن شداد العبسی، ۱۴۱۲ق: ۱۷۸–۱۷۹)

۲. البیت من الطوایل لعروة بن حزام (؟ –۳۰ق) عروة بن حزام، من بنی عذرة، شاعر من متیمی العرب، کان یحب ابنة عم له اسمها عفراء (وروی ذلفاء مکان عفراء) توفی عروة علی ما ذکر الذهبی فی تاریخه فی خلافة عثمان سنة ثلاثین من الهجرة. (الزرکلی، ۱۹۶۹م، ج۵: ۱۷؛ والأنطاکی، ۱۲۱۹ق، ج۲: ۳۹)

یقول: حبها مستحیل لی لأنّ هذا الحب حب ثقیل وحتی الجبال الثوابت الراسخات لیست لها طاقة لتحمل هذا الحب والعشق.

الشاهد فی هذا البیت قوله «یدان» بمعنی القوة والطاقة لأنّ أکثر ما یظهر سلطان القدرة یکون فی الید، وبها تکون الأفعال الدالة علی القدرة من البطش والضرب والقطع والأخذ وغیر ذلک.

والمجاز العقلی من أبواب علم المعانی والمجاز العقلی هو إسناد الفعل أو معناه إلی ملابسٍ له غیر ما هو له بتأّوّل. (التفتازانی، ۱۴۲۵ق: ۵۴) والطبرسی فی تفسیر قوله تعالی: ﴿وَقَالُوا مَا هِیَ إِلَّا حَیَاتُنَا الدُّنْیَا نَمُوتُ وَنَحْیَا وَمَا یُهْلِکُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِکَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا یَظُنُّونَ﴾ (الجاثیة: ۲۴) یقول: إنّ أهل الجاهلیة کانوا ینسبون الحوادث المجحفة والبلایا النازلة إلی الدهر فیقولون فعل الدهر ولذا کانوا یسبّون الدهر فقال رسول الله إنّ فاعل هذه الأمور هو الله تعالی فلا تسبّوا فاعلها. (الطبرسی، ۱۴۱۵ق، ج۹: ۱۳۱) والمؤلف استشهد بقول الشاعر لانتساب أفعال الله إلی الدهر وقال:

فاستَأثَرَ الدهرُ العداةَ بهم　　والدّهرُ یرمینی وما أرمی
یا دهرُ قد أکثرتَ فَجعَتَنا　　بِسَراتنا ووَقَرتَ فی العظم[1]

الشاهد فی هذین البیتین انتساب أفعال الله إلی الدهر والإسناد إلی الدهر مجاز عقلی. وهکذا نجد الشاهد الشعری فی تفسیر مجمع البیان لعلوم القرآن قد خدم الجانب اللغوی وزاده وضوحاً وأیّده بما سال علی لسان العرب.

ب. فی الجانب التاریخی:

استخدم الطبرسی العلوم المناسبة التی تُعینه علی إبراز معنی اللفظة وآیتها فالآیة التی تتعلّق بالأخبار الغابرة أو بالوقائع التی حصلت إبّان حیاة الرسول (ص) هی الجانب التاریخی المقصود، لأنّها تفرض علی الطبرسی ذکر الحدث والخبر التاریخی الموثوق

۱. البیتان من الکامل لزهیر بن أبی سلمی من قصیدة فی رثاء هرم بن سنان بن أبی الحارثة المُرّی. (ابن أبی سلمی، ۱۴۱۲ق: ۲۷۵)
یقول: فَضّل الدهر العَداة علی قومی وإنّ الدهر یرمینی بالمصائب وأنا لا أذمّه ثم یخاطب الدهر ویقول: یا دهرُ أنزلت علینا أنواع الفجائع والآلام بسبب موت أشرافنا وصدَعت عظم صبرنا وقوامنا.

کبیراً کان أو صغیراً هو نقل الحقیقة الخالصة والعبرة الصادقة لمن شاء الاعتبار، وهنا من خلال بعض الأمثلة نوضح ذلک. فی تفسیر قوله تعالی: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح: ۱۷) لأجل توضیحها وشرحها ذکر تفاصیل أحداث حصلت مع النبی (ص) أثناء غزوة خیبر، وهی وقعة مشهورة ویقول: ولمّا قدم رسول الله (ص) المدینة من الحدیبیة مکث بها عشرین لیلة ثم خرج منها غادیاً إلی خیبر حتی إذا کان قریباً منها وأشرف علیها قال رسول الله (ص) قفوا فوقف الناس فقال اللّهم رب المساوات السبع وما أضللن ورب الأرضین السبع وما أضللن ورب الشاطین وما أضللنن إنّا نسألک خیر هذه القریة وخیر أهلها وخیر ما فیها ونعوذ بک من شرّ هذه القریة وشرّ ما فیها أقدموا باسم الله وعن سلمة بن الأکوع قال خرجنا مع رسول الله إلی خیبر فسرنا لیلاً فقال رجل من القوم لعامر بن الأکوع ألاتسمعنا من هنیهاتک وکان عامر رجلاً شاعراً فقال هذه الأبیات:

لا همّ لولا انتَ ما اهتدینا ولا تـصدّقنا ولا صلّینا
فاغفر فِداء لک ما أقتینا وثبّت الأقدام إن لاقینا
وأنـــــزلن سکینة علینا إنـــا إذا صیح بنا أتینا
وبالصیاح عولوّا علینا[1]

(الطبرسی، ۱۴۱۵ق، ج۹: ۲۰۰)

وقال علی بن أبی طالب علیه السلام فی فتح خیبر:

أنا الذی سمّتنی أمی حیدرَة کلیث غاباتٍ کریهِ المَنظَرَة
أو فیهم بالصّاع کیلَ السّندرة

وقد جاءت هذه الأبیات فی الدیوان بهذا الشکل:

أنا الذی سمّتنی أمی حیدرَة ضرغام آجامٍ ولیثٌ قَسوَرَة

۱. هذه الأبیات لعامر بن الأکوع أنشدها فی فتح خیبر. (البخاری، لاتا، ج۵: ۱۶۶؛ والمبرد، ۱۳۸۲ق، ج۳: ۱۳)
یقول: یاربّ ما أنت ما أطعناک فی الفرائض من حجّ وصلاة وزکاة، فاغفر لنا ذنوبنا فی خدمة المشرکین وثبت أقدامنا وأنزل السکینة علینا عند لقائهم وإذا دعینا للنصرة المظلومین نصرناهم.

عــبلُ الذّارعين شديدُ القِصَرَة　　كليث غابات كريه المَنظَرَة
أكيلكم بالسيف كيلَ السَّندرَة　　أضربكم ضرباً يُبينُ الفقرة[1]

(ابن أبی طالب، لاتا: ۴۲؛ وبیهقی نیشابوری، ۱۳۷۳ش: ۲۸۶)

وأشار فی تفسیر قوله تعالی: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ۲۷) بعمرة القضاء ویقول: وکذلک جری الأمر فی عمرة القضاء فی السنة التالیة للحدیبة، وهی سنة سبع من الهجرة فی ذی القعدة وهو الشهر الذی صدّه فیه المشرکون عن المسجد الحرام فخرج النبی(ص) ودخل مکة مع أصحابه المعتمرین وأقاموا بمکة ثلاثة أیام ثم رجعوا إلی المدنیة واحتجّ الطبرسی بقول الشاعر:

خلّوا بــنی الکفار عن سبیله　　قد أنزل الرحمن فی تنزیله
فی صُحُفٍ تُتلی علی رسوله　　الــیوم نضربکم علی تأویله
کمــا ضربنا کم علی تنزیله　　ضــرباً یزیل الهامَ عن مَقیله
ویذهلُ الخــلیل عن خلیله　　یــــا ربّ إنّی مؤمن لقیله
إنّی رأیت الحق فی قبوله[2]

(الطبرسی، ۱۴۱۵ق، ج۹: ۲۴۸)

۱. یقول: أنا الذی سمَّته أمه أسداً وأرید أن أقتلکم قتلاً واسعاً کبیراً ذریعاً، ولا أزنکم إلا بزنة السیف. وعاد ضمیر المتکلم فی «سَمَّتنی» إلی «الذی» وهذا جائزٌ لأجل تقدم کنایة المتکلم.

۲. هذه الأبیات من الرجز لعبد الله بن رواحة (؟– ۸ق)، عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاری من الخزرج، أبومحمد صحابی، یعد من الأمراء والشعراء الراجزین، کان یکتب فی الجاهلیة.منذ أسلم وضع کلّ مقدرته في خدمة الإسلام، وشهد العقبة مع السبعین من الأنصار. وکان أحد النقباء الاثنی عشر وشهد بدراً وأحداً والخندق والحدیبیة.
وقال عبدالله بن رواحة، وهو أخذ بزمام ناقة رسول الله فی عمرة القضاء، یقودها، وقد اجتمع أهل مکة وغلمانهم ینظرون إلیه، وهو یقول هذه الأبیات. (الزرکلی، ۱۹۶۹م، ج۴: ۲۱۷؛ و www.khayma.com)
یقول: افتحوا طریقنا وقد أخبر الله به فی کتابه المنزّل أو فی صُحُفٍ تُلیت علی رسوله. الیوم نضربکم بالسیوف علی تأویله کما ضربناکم بالسیوف علی تنزیله، ضرباً یزیل الرؤوس عن مواضعها ویغفل الحمیم والصدیق عن صدیقه. یا رب إنی مؤمن بالقرآن علی ما یقول ورأیت الحق فی قبوله.

وهکذا نجد الشاهد الشعری فی تفسیر الطبرسی قد خدم الجانب التاریخی وزاده وضوحاً وأیّده بما سال علی لسان العرب من فصاحة، فجاء کأنّه جزء من التفسیر لا یستغنی عنه.

النتیجة

تفسیر مجمع البیان لعلوم القرآن للشیخ أبی علی فضل بن حسن الطبرسی، کتاب عظیم فی بابه، یدّل علی تبحّر صاحبه فی فنون مختلفة من العلم والمعرفة ورسّخ الطبرسی بشواهده الشعریة، المدلولات اللغویة والقرآنیة والتاریخة وأثبت أنّ کلّ ما جاء فی القرآن عربی؛ وکانت غایته القصوی من غزارة شواهده الشعریة تسهیل الفهم والإمعان فی الشرح وإکساب القارئ العلم وتوجیهه إلی طریق الرشاد.

وفی الختام نقول إن تفسیر مجمع البیان باعتباره تفسیراً علمیّاً أدبیّا یحتاج إلی مزید من الداراسة والتحقیق فی جوانبه المختلفة، إذا ألقینا نظرة علی مکتبة التفاسیر وجدناه من أهمّ التفاسیر لأنه یعتبر منهلاً عذباً ومورداً صافیاً لاستسقاء الباحثین المعاصرین. واملی کثیرا أن یظفر تفسیر الطبرسی بالدراسة الجدیرة به لیظهر بأنصع ثوب وأبهی صورة.

المصادر والمراجع

ابن أبی سلمی، زهیر. ۱۴۱۲ق. *دیوان زهیر بن أبی سلمی*. صنعة أبی العباس ثعلب. قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه الدکتور حنا نصر الحِتّی. بیروت: دار الکتاب العربی.

ابن أبی طالب، علی علیه السلام. لاتا. *دیوان علی بن أبی طالب (ع)*. بیروت: مؤسسة الأعلمی للمطبوعات.

ابن خلکان، أحمد بن محمد. ۱۳۹۷ق. *وفیات الأعیان*. بیروت: دار الثقافة.

ابن شدّاد العبسی، عنترة. ۱۴۱۲ق. *دیوان عنترة*. شرح الخطیب التبریزی. کتب مقدمته وهوامشه وفهارسه مجید طراد. بیروت: دار الکتاب العربی.

ابن عمر البغدادی، عبدالقادر. لاتا. *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب علی شواهد شرح الکافیة*. لانا.

ابن قتيبة الدنيوری، عبدالله بن مسلم. لاتا. *الشعر والشعراء*. بيروت: دار الثقافة.
ابن حجر، امرؤالقيس. ۱۴۰۹ق. *ديوان امرئ القيس*. تحقيق حناء الفاخوری. بيروت: دار الجيل.
الأنطاكی، داوود بن عمر. ۱۲۹۱ق. *تزئين الأسواق فی مصارع العشاق*. القاهرة: مطبعة القاهرة.
الأصفهانی، أبوالفرج. ۱۴۰۷ق. *الأغانی*. تحقيق عبدالأمير علی مهنّا وسمير جابر. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
البخاری، محمد بن إسماعيل. لاتا. *صحيح البخاری*. بيروت: دار الفكر.
البلنسی، محمد بن علی. لاتا. *تفسير مبهمات القرآن بصلة الجمع وعائد التذييل لموصول كتابی الأعلام والتكميل*. دراسة وتحقيق عبدالكريم محمد. بيروت: دار الغرب الإسلامی.
بيهقی نيشابوری، قطب الدين. ۱۳۷۲ش. *ديوان علی بن ابی طالب*. تصحيح وترجمه ومقدمه ابوالقاسم امامی. طهران: انتشارات اسوه.
التفتازانی، سعد الدين. ۱۴۲۵ق. *شرح المختصر*. طهران: اسماعيليان.
الثعالبی، عبدالملک بن محمد بن إسماعيل. لاتا. *نثر النظم وحل العقد*. قدّم له علی الخاقانی. بيروت: دارصعب. بغداد: دار البيان.
الجمحی، محمد بن سلام. لاتا. *طبقات فحول الشعراء*. شرحه محمود محمد شاكر. مصر: دار المدنی.
الزركلی، خيرالدين. ۱۹۶۹م. *الأعلام*. بيروت: دار الجيل.
الزمخشری، محمود بن عمر. لاتا. *الكشاف*. بيروت: دار الكتاب العربی.
السيوطی، جلال الدين،. ۱۴۰۶ق. *الأشباه والنظائر*. تحقيق عبدالعال سالم مكرم. بيروت: مؤسسة الرسلة.
الطبرسی، أبوعلی الفضل بن الحسن. ۱۴۱۵ق. *مجمع البيان لعلوم القرآن*. بيروت: منشورات الأعلمی للمطبوعات.
الفراء، يحيی بن زياد. ۱۴۰۳ق. *معانی القرآن*. بيروت: عالم الكتب.
المرزوقی، أحمد بن محمد. ۱۴۱۱ق. *شرح ديوان الحماسة*. نشره أحمد أمين وعبدالسلام هارون. بيروت: دار الجيل.
مصطفوی نيا، سيدمحمدرضی. «أهل البيت عليه السلام فی شعر كشاجم». فصلية دراسات الأدب المعاصر. ربيع ۱۳۹۰ش. العدد۹. صص۱۲۱-۱۵۲.
الميدانی، أبوالفضل. ۲۰۰۳م. *المجمع الأمثال*. تحقيق الدكتور قصی الحسين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
يعقوب، إميل بديع. ۱۴۱۳ق. *المعجم المفصل فی الشواهد النحو الشعرية*. بيروت: دار المكتبة العلمية.
.WWW.KHAYMA.COM/ALSAHABA/LIST18/ABDULLAZ.HTM1